مشاكل... ومشاكل!

ما من إنسان فرد لم يعانِ يوما تباريح الحياة. حتى أعظم الرجال والنساء يصابون بخيبات أمل وكأنها خبزهم اليومي. فثمة أحوال تحدّ من حريتنا، وعندما تبدو مشاكل الحياة ساحقة ماحقة ينظر المرء حوله فيرى ما يواجهه الآخرون ويهدأ. وقد يعتبر نفسه سعيد الحظ نسبيا.

على طريق شديدة الإنحدار كثيرا ما يبلغ الأبطال أسمى انجازاتهم العظيمة. ولكن، هل ترانا نعي دوما مشاكلنا الحقيقية؟

ان مشكلة ما محددة بدقة هي مشكلة شبه محلولة. والمطلوب ليس من يجد الحل بقدر من يرى المشكلة. إن نحن استطعنا أن ندرك المشكلة استقرينا الحل انطلاقا منها لأن الحل لا ينفصل عن طرح المشكلة. وهكذا، ان الإجادة في طرحها تنطوي على ثلاثة: ما نعرفه؛ ما نجهله؛ وما نبحث عنه.

ولكن، ما الحيلة وفي مجتمعاتنا الازدواجية المنحى مشاكل مزوّرة أو «شهادات» مزوّرة؟ في كثير من الأحيان، لا نتفادى التقارير والتعليقات الغارقة في خضم من الملهيات، والعراقيل المزعومة والمشاكل المفتعلة أو التافهة أو «الدرامية»؟

مشاكلنا تتجاوز كل المشاكل. مذاقها موت. والأرهب فيها قبول تخيّل حتميتها أو «إيجابيتها». انه لارتضاء سادو-مازوشي رهيب. ندجّن الحرب والعجز والضياع. ونتكلم على مخارج وشيكة ونصنع لأنفسنا أبطالا وهميين!..

د. جهاد نعمان

أستاذ في المعهد العالي للدكتوراه